مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 391–399	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

حضور المرأة في رواية وادي الظلام لعبد الملك مرتاض

THE PRESENCE OF WOMEN IN THE NOVEL VALLEY OF DARKNESS BY ABDELMALEK MORTAD

د. فاطمة صواغير

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر

fatimaswaghire@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2025/04/16 تاريخ القبول: 2026/09/14 تاريخ النشر: 2026/09/30

ملخص:

تتألق المرأة في رواية "وادي الظلام" للكاتب الجزائري عبد الملك مرتاض بحضور دلالي عميق يتجاوز الهامشية لتكون محورًا رئيسيًا يجسد تحولات المجتمع وتوتراته، وتتعدد صورها بين الأم الحاضنة الرمزية للاستمرارية، والمرأة المعانية من القهر النفسي والاجتماعي، والقوية المقاومة لسلطة الفضاء الذكوري.

وتكمن أهمية هذا الحضور في تعميق البعد الفكري والإنساني للنص، وتحويل المرأة من مجرد أداة سردية إلى المرآة الناقلة لواقع المجتمع وأزماته.

هدفت هذه الدراسة إلى كشف القيود وتسليط الضوء على المعاناة والتحديات الاجتماعية والنفسية التي تواجهها المرأة، وإبراز المقاومة بإظهار قدرتها على إثبات الذات ومواجهة الهيمنة الذكورية، ما أدى إلى تأصيل الرمزية باستثمار رمزية المرأة كدعامة للحياة والاستمرارية والتغيير.

خلصت الدراسة إلى تجليات صورة المرأة كرمز فلسفي وإنساني متكامل؛ إذ استطاع النص تجسيد صمودها بوجه القهر الاجتماعي، مما يجعل حضورها النابض بالحياة المحرك الأساسي لكشف أزمات الواقع ودعامة محورية للتطلع نحو التغيير.

الكلمات المفتاحية: أدب جزائري؛ الرواية؛ عبد الملك مرتاض؛ المرأة.

Abstract:

In the novel "Valley of Darkness" by Algerian author Abdelmalek Mortad, women shine with a deep semantic presence that transcends marginality, becoming a central axis that embodies societal transformations and tensions. Her depictions vary between the nurturing mother symbolizing continuity, the suffering woman enduring psychological and social oppression, and the strong woman resisting the authority of a patriarchal space.

The significance of this presence lies in deepening the text's intellectual and human dimensions, transforming women from a mere narrative device into a mirror reflecting societal reality and its crises.This study aimed to uncover limitations while highlighting the social and psychological suffering and challenges women face, as well as to emphasize resistance by demonstrating their ability to assert selfhood and confront male dominance—thereby establishing symbolism by leveraging the image of women as a pillar of life, continuity, and change.The study concluded with the manifestations of the image of women as an integrated philosophical and human symbol; the text successfully portrayed her resilience in the face of social oppression, making her vibrant presence the primary driver for exposing reality's crises and a pivotal foundation for aspiring toward change..

Keywords:

Abdelmalek Mortadh ; Algerian Literature ; Novel ; Woman

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 391–399 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

يعدّ الأدب الجزائري من أبرز تجليات الهوية الثقافية في شمال إفريقيا، إذ يعكس في نصوصه تفاعل الإنسان الجزائري مع محيطه التاريخي والاجتماعي والسياسي. وقد نشأ هذا الأدب في سياق حضاري متنوع، تأثّر بالثقافة العربية الإسلامية، كما تفاعل مع الأمازيغية والتراث الشعبي، ثم تأثر لاحقًا بفترة الاستعمار الفرنسي، مما أضفى عليه طابعًا خاصًا يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ومن الروائيين الذين شغلتهم الكتابة عن الأوضاع الراهنة الروائي عبد الملك مرتاض، مما جعله يتتبع الواقع الجزائري ومتغيراته وانعكاس هذه المتغيرات على كل فئات الشعب الجزائري، والمرأة الجزائرية لم تكن في منأى عن تلك التحولات التي انعكست على جوانب مختلفة في نفسيتها وشخصيتها وحياتها وتفكيرها.

ومن هذا المنطلق أردنا أن نتتبع صور حضور المرأة في كتابات عبد الملك مرتاض من خلال روايته" وادي الظلام" وعليه نطرح الإشكالية التّالية: كيف تجلت صور حضور المرأة في رواية وادي الظلام؟ وما هي الأبعاد الدلالية لهذه التمظهرات؟

وتهدف الدراسة إلى تتبع تجليات صور حضور المرأة في هذه الرواية والأسباب الحقيقية لظهور هذه الصور المتنوعة والمتناقضة أحياناً.

2. تعريف المفاهيم:

1.2 عبد الملك مرتاض:

عبد الملك مرتاض أستاذ جامعي من ولاية تلمسان ولد سنة 1935 " وهو مفكر عربي جزائري، من أعلام الأدب والنقد في عصرنا، وهو باحث وكاتب موسوعي وأديب مبدع في القصة والرواية والمسرحية، كتب أكثر من ثمانين كتابا ودراسة أصبح الكثير منها مادة دسمة للبحث والدراسة في المجال الأدبي والنقدي.

تقلد منصب رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، كما كان عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في دمشق وكان عضوا في لجنة التحكيم لمسابقة أمير الشعراء في أبو ظبي، حصل على جائزة سلطان عويس الثقافية".[1] وافته المنية في شهر نوفمبر سنة 2023 بعد أن أثرى المكتبة الجزائرية بما جادت به قريحته من آثار أدبية ونقدية.

2.2 مفهوم الرواية:

تُعدّ الرواية جنسًا أدبيًا سرديًا نثريًا حديث النشأة نسبيًا في تاريخ الأدب، إلا أنها أصبحت من أكثر الأشكال التعبيرية انتشارًا وقدرةً على استيعاب تحوّلات الإنسان والمجتمع، وقد تعددت تعريفات الرواية لدى النقاد والدارسين تبعًا لاختلاف مناهجهم النقدية؛ إذ يرى بعضهم أنها "مرآة للحياة" تعكس الواقع الاجتماعي بكل تناقضاته، بينما يذهب آخرون إلى اعتبارها بناءً تخييليًا مستقلاً يعيد تشكيل الواقع وفق رؤية الكاتب، وتعرفها سهير القلعاوي:" ظاهرة إنسانية ترصد كل التغيرات التي تمس مضمون وشكل الحياة وهي أداة فعالة يعبر بها

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 391–399	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الإنسان عن واقعه ما دام هذا الواقع دائم التطور والتغير إذ لا يمكن أن تعاد فيه لحظة معاشه كما كانت أبدا، وأنّ هذا بكل طاقته وجبروتة يعطي للأداة طاقتها ما دام قادرا على الإيحاء الفني أما الإيحاء الايديولوجي فإنه يأتي بعدما يتحقق الفن أولا "[2]

3 تجليات صورة المرأة في رواية وادي الظلام:

1.3رواية وادي الظلام :

إن لكل كاتب في عمله الروائي بصمة فنية و موضوعية تجعل له ميزة خاصة وتعطيه انفرادية وعنوانا لوجوده. والأستاذ عبد الملك مرتاض في روايته " وادي الظلام " حاول أن يرصد واقع المجتمع الجزائري بمختلف أفراده مع اختلاف مكانتهم الاجتماعية من معلم وإمام وحاكم ومثقف أمي وعامل بسيط، وأن يصور بعدسة دقيقة معاناة هؤلاء الناس الذين يبحثون عن حياة أفضل، محاولا تقريب واقع الرواية من دائرة الفن الرحب، وذلك بشحن النص السردي بمجموعة من الدلالات والإيماءات بفضل قوة الخطاب الأدبي الذي يمتد في خفاء وسط دلالات جديدة. لقد تمحور موضوع الرواية حول الأحداث والمجريات الكبرى التي مرت بها الجزائر من استعمار فرنسي شرس حول البلاد إلى مستنقع من الفقر والجهل أين انتشرت الأمية في بين الجزائريين، فكانت صدمتهم كبيرة وعميقة من الشقاء و المعاناة التي أصبحوا يعيشون فيها، بعد الاستقلال فقد صدموا بواقع آخر، كساد في اليد العاملة الفقر البؤس وصولا إلى العشرية السوداء وما نجم عنها من تصدع في بنية المجتمع الجزائري.

وقد عمد الكاتب إلى توظيف الرمز في الرواية ليضفي للخطاب الأدبي خصوصية التشويق، إذ أن الأحداث تدور في قرية الجلولية وهي ترمز إلى الجزائر ومن هنا كانت البداية، إذ يمكن أن تعد هذه الرواية في خانة الرواية التاريخية بحكم تسلسل الأحداث التاريخية البارزة في تاريخ الجزائر، بداية من حادثة المروحة وتعاقب الأحداث بعد الاستقلال ورصد الأوضاع الاجتماعية والسياسية وصولا إلى العشرية السوداء وما عانت منه الجزائر أنداك لقد شكل هذا الموضوع المحور الاساسي والهاجس الأكبر لدى الكاتب لأنه يرصد واقع أناس اقتلعوا من بيئتهم قسرا وغرسوا في بيئة مضمونها التباين ووجهتها الاختلاف.

ويمكن القول أن اختيار مصطلح القرية لم يكن عبثيا لأن المعروف عن القرية أنها بيئة صغيرة وقد تفتقر إلى أبسط الوسائل الحياتية كما أنها تعكس رؤية الكاتب وموقفه من الوضع الذي آل إليه سكان هذه القرية من تخلف وجهل وبؤس.

واكب الأستاذ عبد الملك مرتاض الحدث وحاول أن يرصد لنا صورة لأناس وهم يعيشون في وادي الظلام " الذي يمتد على مسافات بعيدة من الشمال إلى نحو أقصى الجنوب. وهو يقسم الجلولية شطرين: شطرا شرقيا، و شطرا غربيا سهليا ورعويا ...وهو يجري بالماء الغزير على وجه الدهر. وما يفضل من مياهه الغزيرة في نهاية أمرها تتلاشى في رمال الصحراء "[3] وقد كان هذا الوادي مطمع القبائل المجاورة بل وحتى البعيدة وذلك بما " فيه من مياه

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 391–399	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وغابات مدهشة من الأشجار المثمرة و المراعي الخصبة الممتدة على السهول الشاسعة الأطراف على الضفة الغربية لوادي الظلام الذي هو هبة الله للقبيلة ..."[4] و" لأن بناء الزمان لا ينفصل عن بناء المكان وقد يمثل في الكثير من الأحيان البنية العميقة للفضاء القصصي" [5]، فقد استطاع الكاتب أن يلتقط صورا لهذا الوادي ويصفه لنا في أسلوب ندرك من خلاله لماذا سمي بوادي الظلام " ... وكانت الأشجار المثمرة، وغير المثمرة، لكثرتها في جهتي وادي الظلام، تتعانق أغصانها المورقة فوق الوادي فيتشابك بعضها ببعض فتسقفه بظلالها، فتشكل غابة عظيمة كثيفة تغطي فضاء الوادي الأعلى كله منه فلم تكن الأسافل ولا الدواخل تشهد ضياء الشمس على الوجه العام. وكان الداخل إلى الوادي حين يدخل يقع تحت دائرة الظلال الكثيفة التي كانت تحجب الشمس فتحيل البطائن إلى ظلام، فيحس الداخل إليه كأنه في ليل بهيم، أو كأنه تحت سحابة سوداء توشك أن تمطر "[6]

وبالإضافة إلى بناء مكان الرواية فقد استطاع الكاتب وبلمسة فنية أن يعطي أهمية كبرى لشخوص الرواية وتبيان مدى تأثيرها في هذا العمل الروائي والذي يعتبر ساحة لتصارع وتطاحن وتظافر وتوادي هذه الشخصيات وذلك لأن " الشخصية هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث "[7]، وهي" لا تنمو إلا من وحدات المعنى، إنما تصنع من الجمل التي تنطقها هي أو ينطقها الآخرون عنها " [8]

2.3 حضور المرأة في رواية وادي الظلام:

لقد تنوعت شخصيات الرواية ما بين شيخ القرية الحاكم وابن أخيه الطامع في الحكم وبين ومعلم القرية وإمامها وغيرهم، والملاحظ في هذا العمل الروائي ظهور لشخصية المرأة والحضور القوي لها بين ثنايا هذا العمل، فقد جرت العادة أن يسرد المؤلف الأحداث لكن في رواية وادي الظلام نجد المرأة هي الساردة إذ يفتتح الكاتب روايته وهو يصف العجوز الساردة لهذا العمل الروائي بقوله: " كانت الأم زينب في زهاء التسعين من عمرها، وكانت تتخذ لها عصا متقادمة تتكئ عليها حين تمشي، وسبحة تذكر الله في حباتها على دأب أهل هذا الوجه من الأرض في الالتزام بطقوس المتصوفة في الذكر والتعبد. وكانت أحفظ أهل قريتها للأخبار، وأذكرهم للآثار، و أبرعهم في الطب الشعبي، وأقدرهم على مداواة المرضى بالأعشاب والرقي." [9]

ويذهب بعيدا في وصف هذه المرأة فهي على حد تعبيره " موسوعة متنقلة من الثقافة الشعبية، فكانت لا تكاد تلتقي بشخص حتى تسرد عليه من الأخبار الطريفة، وتلقي له من الأمثال الحكيمة ما ينبهر به فيعجب بها، ويعجب منها ... وكان أهل الجلولية كلهم يكنون لها من الاحترام والتقدير ما كان يجعلها تنافس، لو أرادت شيخ القبيلة في زعامتها، لولا أن الزعامة في الجلولية كانت خالصة للرجال دون النساء " [10].

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 391–399	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

بالاضافة إلى هذه الشخصية نجد أن الكاتب قد خص نساء الجلولية بوصف خاص وأبرز كيف كن يقفن بجانب أزواجهنّ وكيف ساندت المرأة الرجل و ملت معه أعباء الحياة " برع نساء الجلولية في الصناعات النسيجية القائمة على نسج الصوف وتصنيعه فكنّ يبدعن في توشية تلك النسيجيات وتزيين رسومها إبداعا عجيبا. كما كن ينسجن برانس الصوف، وجلاليب رجالهنّ وأبنائهنّ. فكانت كل واحدة تستأثر بمنسجها في بيتها تشتغل فيه على وجه الدهر" [11]

وقد حاول الكاتب أن يرصد واقع الجلولية وصراع أبناء العمومة على الحكم خاصة بين همدان الحاكم وابن عمه حمدونة الطامع في الحكم بحكم أن ابن عمه ليس له أولاد ليرثوا الحكم فتحدث المفاجأة ويرزق الحاكم همدان بولدين لكنهما ليس من نساءه من أهل الجلولية وهنا تظهر شخصية جاكلين أم الولدين والتي كانت في الحقيقة هدية من بني فرناس للحاكم وكانت" بجمالها و دهائها و شدة نفوذها بحكم انتمائها إلى قبيلة بني فرناس القوية لا تزال تنشط ضد التيار الذي ينشط فيه الشيخ حمدونة ... فكانت تغريه أشد الإغراء بأن يفعل شيئا يقطع به دابر ابن عمه الطماع ..."[12] وفي الجهة الأخرى يظهر حمدونة ابن عم الحاكم وهو يحاول أن يستولي على الحكم بشتى الطرق، فيلجأ إلى القبيلة المجاورة للجلولية ويتفق مع شيخها رغبان على التحالف ضد ابن عمه والاستلاء على الحكم ويتخذ من المصاهرة مطية ليصل إلى هذا المسعى فتظهر شخصية وطفاء ابنة شيخ القبيلة رغبان الذي يسر بهذه المصاهرة هذه الفتاة الفاتنة وفوق هذا فهي" عاقلة وذكية والأكيد أنها ستقبل بشيخ الجلولية المنتظر لها بعلا ... وأي فتاة ترفض طلب الشيخ حمدونة العظيم "[13]وفي سياق الحوار بين حمدونة والشيخ همدان وهو يتحدث عن هذه المصاهرة بين القبيلتين يعقد الكاتب مقارنة بين وطفاء وعائشة ابنة المعلم أحمد رئيس جمعية الدفاع عن حقوق المرأة وقد كانت عائشة رفضت الزواج من الشيخ حمدونة وهنا تظهر شخصية عائشة فتاة متعلمة ومثقفة وذات شخصية قوية فقد كانت " ذكية إلى درجة العبقرية وجميلة إلى درجة الفتنة وكانت مثار اهتمام الجلولية كلها ...فقد كانت فتنة فتيان المحروسة وشيوخها أيضا حتى لم يعودوا يتحدثون إلا عنها ... وكان كل منهم يحدث نفسه بالحظوة بها اقترانا " [14]

لقد كانت عائشة على حد وصف والدها أحمد لها " كأنها امرأة مجسدة في صبية...كأنها سيدة نساء الجلولية كلها كأنها عالم كبير يمثل في رأس صغير، ابتسامتها الواثقة، خطواتها الثابتة، شخصيتها الجذابة، جمالها الفتان... تحكمها في لذاتها وهي تلاعبهن أو تحادثهن... إنها تأسرهن بسهولة مدهشة فيغتدين لها طائعات مذعنات... كأن في لسانها السحر، ترتجل الكلام والمواقف بشكل عجيب..." [14]وفوق كل هذا " فقد أمست تتطاول على مكانة جاكلين الفرنسية... ومنها تعلمت الدلال والدهاء أيضا... فعائشة تعتقد أنها سيدة المحروسة الأولى، وهي وإن لم تقل ذلك حوارا فأنها تقوله سلوكا فقد أعجبت بها جاكلين يوم زارت مقر جمعية أبيها ودعتها إلى قصر المحروسة، وربطت معها صداقة حميمة فأصبحت كل منهما ترتاح لصاحبتها ارتياحا كبيرا ..."[15]

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 391–399	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وقد أسست هذه الجمعية للدفاع عن المرأة فالكاتب على لسان المعلم أحمد مؤسس الجمعية لا يريد أن تظل المرأة " أمة مطيعة وديعة ذليلة للرجل المتغطرس: تغسل رجليه وتدلك جبهته، وتقلم أظافره...وتنظف له ثيابه بعد أن تكون قد تعبت في نسجها وطهيها وخبزها ... تعمل من الفجر إلى ما بعد العشاء في البيت دون توقف... وهي أبدا مقصرة وهي أبدا ناقصة ... وهي أبدا لا يوثق لها جانب ." [16]

من أجل ذلك عمد إلى تأسيس هذه الجمعية وجعل على رأسها فاطمة المعلمة الوحيدة بالمدرسة فهي أولى بالدفاع عن حقوق المرأة وأعرف بقضاياها وبمعاناتها.

وغرس في ابنته عائشة الشجاعة والقوة الشخصية فكانت هي الشخصية المحورية في الرواية فهي الفتاة الوحيدة الت دخلت المدرسة بين الذكور وهي رمز المرأة المتمردة الرافضة للواقع المشين ويظهر ذلك في رفضها الزواج من الشيخ حمدونة شيخ القبيلة المنتظر وتظهر قوة شخصيتها ودهائها في فرارها من الجماعة الإرهابية يوم اختطفها أبو الهيثم وأراد الزواج بها ففقأت عينه وفرت نحو الغابة الكثيفة، فقد كانت من الذكاء واللباقة ما جعلها تنقذ نفسها من مخالب الجماعة الإرهابية، عكس رحمة المرأة التي وجدتها في المغارة وقد سبتها الجماعة بعد أن قتلت زوجها وشردت أطفالها الثلاثة، واستسلمت هي لمصيرها وأصبحت الزوجة المتناوب عليها ليلا والطباخة والمنظفة نهارا.

فشخصيات الرواية متباينة المنشأ وكلها شخصيات مختلفة في التوجهات لكنها مجتمعة في مأساوية المصير ومتحدة في البوتقة المعاناة، فهي تعيش رواسب نفسية ومادية وخلقية، فهي شخصيات واقعية ليست خيالية ولا مثالية "إنها شخصيات تتمثل فيها طبائع البيئة بخيرها وشرها بحقدها و عاوئها بفشلها وانتصارها بارتباطها بالماضي وتطلعها إلى المستقبل" [17]

وهذه الكائنات الورقية تتواصل فيما بينها، فأحيانا نجد حوارا خارجيا عندما تتحدث مع بعضها البعض وأحيانا أخرى نجد حوارا داخليا عندما تتحدث الشخصية مع ذاتها، وفي هذا الحوار نتعرف على نفسية الشخصية وعلى تطلعاتها وماضيها بل حتى واقعها المخفي، وهذا الحوار الداخلي كان أكثر قوة في دفع الأحداث وتطورها، إذ نجد أحيانا في هذا الحوار الداخلي تعريفا مفصلا واضحا لأحد شخصيات الرواية، لأن قصة الماضي المشبوه لا يعرفها إلا صاحبها أو من كان معه أو من تحدث إليه وأفضى إليه بسره الدفين في حالة صفاء الذهن، مثلما حدث مع المعلم أحمد الذي ترك التعليم وامتهن التجارة وتعرف على بهية ابنة الإمام المغتال وطلبها للزواج فقد تعرفنا على قصة زواجه من زوليخا والدة عائشة من خلال حواره مع بهية في محاولة لا قناعها بالزواج منه وهو ينطلق مع كل شخصية من حاضرها إلى ماضيها ولكن في علاقة جدلية يمكن معها أيضا الانطلاق من الماضي للوصول إلى الحاضر، فحاضر كل شخصية يحيل إلى ماضيها كما أن ماضي كل شخصية يفسر حاضرها.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 391–399	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وعلى العموم فإنّ هذه الشخصيات يظهر " عملها شاقا ومتأزمة نفسيا وهي تتخذ الحوار وسيلة تواصلية على الرغم من معاناتها ويأسها وهامشيتها" [18]، لقد حرص الكاتب على الولوج إلى عوالم مختلفة من خلال حوار الشخصيات والتعريف بها مما جعل الرواية تتخذ خطوة فنية نحو تطور الأحداث " لتصير الكلمة المكتوبة في بصر القارئ ألوانا وأصواتا روعي فيها النغم الحلو واللون الجميل في انسجام تام بين ما يقضيه النظم من مقاطع صمت وما يستلزمه اللون من ظلال وأضواء"[19]فالرواية تستمد مادتها من الحكاية أين رصد عالم المعاناة، فهي تصوير للمعاناة في ثوب رمزي يربط بين عوالم مختلفة جسدتها شخصيات الرواية بمختلف بيئاتها فانتظمت هذه العناصر بشكل موفق مشع إنسانيا وفكريا وفنيا، " فالأدب ليس شكلا تعبيريا فقط لكنه انطلاقا من ذلك أفكار ومضامين ورسالة انسانية أو قومية أو فنية ومواقف تتخذ في مجابهة ألوان من سلوك معين أو ظروف معينة ثم هو أيضا صادر عن نفس معينة ذات ثقافية خاصة وظروف تختلف من لحظة إلى أخرى وكل ذلك يخلع دون شك أثره على الحياة"[20].

لقد حظيت شخصية المرأة بتصوير عميق يكشف عما تعانيه هذه الشخصية من مرارة وألم داخل مجتمع يفتقر إلى العدالة الاجتماعية ويحلم بالتغيير والمستقبل الأفضل.

وإن كان الموضوع الرئيس هو رصد الأحداث الكبرى للجلولية وما مورس عليها من استعمار وظلم ومعاناة وألم وقهر، فهو أيضا يعالج جانبا من جوانب المجتمع كالفضائل الخلقية(نشر التعليم و انشاء الجمعيات) كما تعرضت الرواية إلى قضية تعدد الزوجات والزواج غير المتكافئ والظلم والبؤس الذي نجم عن التهميش واستفحال الفساد والتكالب على السلطة، وظهور الجماعات الإرهابية.

وقد التزمت جل الشخصيات في الرواية خطا تصاعديا يمتد من البداية مرورا بالوسط ووصولا إلى النهاية في سلسلة أحداث متتالية، فعائشة مثلا بطلة الرواية عاشت صراعا مريرا بين الولوج إلى عالم الحرية التي تعلمتها من والدها وموقفها منه وهو يحاول الزواج بفتاة أصغر من ابنته وهو المدافع عن حقوق المرأة "إذ ماكنت أظن رئيس جمعية الدفاع عن حقوق المرأة هو أول من يدوس حقوقها "[21]، إنّ البطل في الرواية هو" إنسان واقعي فيه كل ما في الواقع من مأساة و حرارة و صراحة "[22]

لقد حافظ الكاتب على المضمون الإنساني في إطاره الزمكاني ورغم السردية والمباشرة في مواقع كثيرة من الرواية، فإن عفويتها عذبة لذيذة عارية من النفاق والصنعة والتزلق اللفظي مالكة صدق التجربة لأنه " وإن كان الصدق سمة ضرورية لسائر الفنون الأدبية وغيرها ولكنه يبدو هنا في مجال الرواية أكثر حاجة وبصورة تختلف عن غيرها من الصور في فنون أدبية أخرى، فالروائي مرتبط دائما بجمهور يتحدث عن واقعه، ولا يستطيع أن يخادعه أو يكذب عليه، ولا يستطيع في الوقت نفسه أن يعبأ بآراء الجمهور أو يستغني عنها "[23]

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 391–399 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

إنّ موضوع الأحداث الكبرى التي مرت بها الجزائر قد ساهمت في تكوين مخيلة خصبة للأدباء وألهمتهم وأعطتهم المادة للكتابة خاصة في مجال الرواية كون هذه الأخيرة تخاطب وجدان الإنسان، فهؤلاء الكتاب" قد عبروا عن رؤية تعكس واقع الفرد في صراعه من أجل التقدم و العدالة الاجتماعية "[24]، كما عبروا عن رؤية إبداعية ووجدانية ونفاذ في الواقع السياسي والاجتماعي الذين كانا يعيش فيهما الشعب وحاولوا استشراف المستقبل الذي يضم في رحمه بذور الأمل في الحرية والتقدم.

4. خاتمة:

لقد استطاع الكاتب عبد الملك مرتاض أن يجعل للمرأة حضورا قويا بين ثنايا روايته وادي الظلام فهي الموسوعة المتنقلة في شخصية العجوز زينب، والمرأة المطيعة في شخصية زوليخا زوجة المعلم احمد والمرأة الضعيفة المستسلمة في شخصية رحمة سبية الجماعة الإرهابية والمرأة المتحررة المثقفة والمتعلمة المتمردة على عادات القرية السيئة في شخصية عائشة ابنة المعلم أحمد .

كما استطاع الأستاذ عبد الملك مرتاض في روايته " وادي الظلام " أن يحلق بالقارئ في عوالم مختلفة ليثبت حقيقة ساطعة كالشمس تخترق وادي الظلام لتبعث فيه أشعتها الذهبية وتحيل الظلام إلى نور وهي أن الأدب الواقعي يحمل رسالة انسانية وقومية وفنية تحمل صاحبها على أجنحة السمو ليصبح سفير الكلمة الرائعة، ويقدم أوراق اعتماده رسالة نبيلة من فكر لا ينضب إلى نفوس متعطشة إلى الكلمة الصادقة والمعبرة والهادفة، ثمّ إن استيعاب الكاتب للحقائق التي طرأت على الحياة الناس مكنته من تصويرها والتعبير عن أبعادها وأصدائها الذاتية العميقة وأهدافها النبيلة.

5. الهوامش:

[1] أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، دت ص 101

[2] عبد الملك مرتاض ، وادي الظلام ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 ، دط ، ص 11 .

[3] المصدر نفسه ، ص 12 .

[4] أحمد طالب ، الأدب الجزائري الحديث، دار الغرب للنشر والتوزيع ، دط ، دت.

[5] عبد الملك مرتاض، وادي الظلام ، ص 19

[6] عبد العالي بشير، تحليل الخطاب السرد و الشعري ، دار الغرب للنشر ، الجزائر ، ط 1، 2002 ، ص 25 .

[7] المرجع نفسه ، ص 25 .

[8] عبد الملك مرتاض، في وادي الظلام ، ص 3 .

[9] عبد الملك مرتاض، وادي الظلام ، ص 5 .

[10] المصدر نفسه ، ص 22 .

[11] المصدر نفسه ، ص 26 ، 27 .

[12] ينظر المصدر نفسه ، ص 35 .

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 391–399	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

[13]- عبد الملك مرتاض، وادي الظلام ، ض 65 .

[14]- المصدر نفسه ، ص 66 .

[15]- المصدر نفسه ، ص 38 .

[16]- ينظر المصدر نفسه ، ص 88 .

[17]- أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 59 .

[18]- أحمد سيد محمد ، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد الديب ، نجيب محفوظ) المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1989 ، ص 117 .

[19]- خلفة بن عيسى، الرواية والرواية السينمائية، استجواب مجموعة من المبدعين، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1988، ص94.

[20]- أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، دط ، دط ، ص 13 .

[21]- عبد الملك مرتاض ، وادي الظلام ، ص 159 .

[22]- أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 59.

[23]- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1930 1974) ، دار نافع للطباعة ، القاهرة ، دط ، 1976 ، ص 195 .

[24]- أحمد سيد محمد، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد الديب ، نجيب محفوظ) المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1989 ، ص 117 .

6. قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1 ــ مرتاض عبد الملك، وادي الظلام ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 .

2 ــ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.

3 ــ أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1، 2007.

4 ــ أحمد طالب، المنهج السيميائي من النظرية إلى التطبيق، دار الغرب للنشر التوزيع، ط1، 2005.

5 ــ خلفة بن عيسى، الرواية و الرواية السينمائية، استجواب مجموعة من المبدعين، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1988.

7 ــ أحمد سيد محمد ، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد الديب ، نجيب محفوظ) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، دط ، 1989 .

8 ــ عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1930 -1974) ، دار نافع للطباعة، القاهرة ، دط، 1976 .

9ــ عبد العالي بشير ، تحليل الخطاب السرد و الشعري ، دار الغرب للنشر ، الجزائر، ط1، 2002 .

المواقع الالكترونية: ــ https://ar.wikipedia. org